

الأغراض البلاغية لظاهرة وضع الظاهر موضع المضمرة في القرآن الكريم

The rhetorical purposes of the phenomenon of placing the apparent name in the place of the pronoun in the Holy Qur'an

د. علي بعداش¹

جامعة محمد بوضياف المسيلة

ali.badache@univ-msila.dz

تاريخ الوصول 2021/12/06 القبول 2022/02/21 النشر على الخط 2022/04/15

Received 06/12/2021 Accepted 21/02/2022 Published online 15/04/2022

ملخص:

يهدف هذا المقال إلى معالجة موضوع الأغراض البلاغية لظاهرة وضع الظاهر موضع المضمرة في القرآن الكريم، هذه الظاهرة التي اهتم بها علماء اللغة والتفسير، وكشفوا من خلالها بعض أسرار إعجاز أسلوب القرآن الكريم الذي لا تنقضي عجائبه، ذلك أن أصول البيان العربي مضبوطة بقواعد تقضي بأن يكون الكلام العربي على مقتضى الظاهر بالأصالة، ولكن مع هذا يجري الكلام على خلاف مقتضى الظاهر، كأن يوضع الظاهر موضع المضمرة، لتحقيق أغراض بلاغية منشودة تفي بالمقصود، تفهم من السياق والمقام: كالتعظيم والتفخيم، والإهانة والتحقير، أو زيادة التقرير والتمكين، أو إزالة اللبس والغموض، أو قصد تربية المهابة، وإدخال الروعة في ضمير السامع بذكر الاسم المقتضي، أو الاستلذاذ بذكر الظاهر، أو استقلال الجملة، أو قصد العموم أو الخصوص، وهذا ما سيكشف عنه البحث بالتفصيل، انطلاقاً من هذا التساؤل المطروح: ما المقصود بالإظهار والإضمار؟ وما الأغراض البلاغية لظاهرة وضع الظاهر موضع المضمرة؟ والنتيجة أن لهذه الظاهرة الملحوظة بكثرة في القرآن الكريم. بأغراضها البلاغية. دوراً كبيراً في تحديد المعنى المقصود من خلال السياق والمقام.

الكلمات المفتاحية: الأغراض البلاغية، الإظهار، الإضمار، القرآن الكريم.

Abstract:

This article aims to address the subject of the rhetorical purposes of the phenomenon of placing the apparent name in the place of the pronoun in the Qur'an in the Holy Qur'an, this phenomenon reveals some secrets of the miraculous style in the speech of the Holy Qur'an, whose wonders do not end, since the origins of the Arabic statement are controlled by rules requiring that it is based on the apparent noun, but with this speech takes place in contradiction to the apparent noun requirement, such as placing the apparent name in the place of the pronoun to achieve desired rhetorical purposes that meet the intended, understood from the context and the position. The result is that this phenomenon, plays a major role in determining the intended meaning through the context and the position.

Keywords: rhetorical purposes, showing, illusion, the Holy Qur'an.

¹ المؤلف المراسل: علي بعداش البريد الإلكتروني: ali.badache@univ-msila.dz

1. مقدمة:

القرآن الكريم كتاب عظيم معجز، لا تنقضي عجائبه، ولا يخلق على كثرة الرد، ولا يشبع منه العلماء، لذلك بحثوا في وجوه إعجازه وما يزالون، فكان منها بلاغة أسلوبه، وأسرار بيانه التي بهرت عقول فرسان البيان العربي، طمعا في الظفر بشيء منها، وفي كل مرة يكشف البحث عن درة من درره، وعن كنز من كنوزه، فتزداد الرغبة في البحث، ويجد السعي، ويجلو الاجتهاد، ويتواصل البحث باهتمام وإخلاص، وتنوع الدراسات البلاغية في القرآن الكريم كثرة وقلة خاصة منها التطبيقية البيانية، ومن جملة ما استوقف الباحثين من بلاغيين ومفسرين ولاحظوه في آيات الذكر الحكيم وضع الظاهر موضع المضمّر، الذي حقه أن يكون في الجملة الواحدة، ولكن يسهل أمره ويحسن ويفصح إذا وقع في جملتين، وهو من موضوعات الخروج على خلاف مقتضى الظاهر لتحقيق نكت وأغراض بلاغية التي هي بعض الأسرار الجمالية واللطائف العجيبة، التي يجلو بها المعنى السياقي بدقة، وتحقق الفائدة والإفادة، ويتم التذوق والتأثير والإقناع، وتقع الدهشة والغربة، ويتنامى الشعور بعظمة الأسلوب القرآني ويزداد، نتيجة هذا الازدحام والعدول عن هذا الأصل المقرر، وهو جريان الكلام على مقتضى الظاهر إلى خلافه؛ لأن الأصل في الأسماء أن تكون ظاهرة، والأصل المحدث عنه كذلك، والأصل إذا ذكر ثانيًا أن يذكر مضمّرًا للاستغناء عنه بالظاهر السابق، وظاهرة وضع الظاهر موضع المضمّر ملحوظة بكثرة في القرآن العظيم؛ وهو الأمر الذي دفعني إلى البحث فيها، ومحاولة الكشف عن أغراضها البلاغية في القرآن الكريم انطلاقًا من الإشكالية الآتية: ما الإظهار والإضمار في القرآن الكريم؟ وما الأغراض البلاغية لظاهرة وضع الظاهر موضع المضمّر؟ هذا ما سيجيب عنه البحث بالتفصيل من خلال هذا المقال الموسوم بـ: الأغراض البلاغية لظاهرة وضع الظاهر موضع المضمّر في القرآن.

2. تعريف الإظهار والإضمار لغة واصطلاحاً

2.1. تعريف الإظهار لغة واصطلاحاً:

الإظهار لغة: قال ابن فارس: "الظاء والهاء والراء أصل صحيح واحد يدلّ على قوة وبروز من ذلك: ظهر الشيء يظهر ظهوراً فهو ظاهر، إذا انكشف وبرز. ولذلك سمي وقت الظّهر والظّهيرة، وهو أظهر أوقات النهار وأضوؤها. والأصل فيه كله ظهر الإنسان، وهو خلاف بطنه (وهو يجمع البروز والقوة).¹

الظهر: (كل من علا شيئاً فقد ظهر. وسمي المركوب ظهراً لأن راكبه يعلوه).²

الإظهار اصطلاحاً: (ويراد به هنا التصريح باللفظ، وإبرازه في الموضع الذي يغني عنه الضمير).³

نخلص من خلال التعريف اللغوي، والاصطلاحى للإظهار إلى أنهما يتفقان في الدلالة على البروز، والانكشاف والتصريح.

¹ ابن فارس أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني، معجم مقاييس اللغة، تح عبد السلام محمد هارون، دار الفكر د ط، 1979 م ج 3: 471.

أبو البقاء أيوب بن موسى الكفوي (ت 1094 هـ)، الكليات، معجم في المصطلحات والفروق اللغوية تح عدنان درويش محمد المصري، د ط مؤسسة الرسالة بيروت ص: 588.

³ خالد بن عثمان السبت قواعد التفسير (جمعاً ودراسة) د ط دار ابن عثمان، د ط، ص: 338.

2.2 تعريف الإضمار لغةً واصطلاحاً

الإضمار لغة: هو الإخفاء، يقال: أضمّر الشيء: أخفاه، ويقال: أضمّر في نفسه شيئاً: أي عزم عليه بقلبه، و الضمير: المضمّر الذي تخفيه في نفسك، ويصعب الوقوف عليه، وهو السر، وداخل الخاطر¹.

ومن معاني مادة (ضمّر) اللغوي أيضاً: الهزال، يقال: فرس ضامر، وفي التنزيل ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾² أي الإبل المهازلة.

والإضمار والضمير والمضمّر كلها ألفاظ ذات مدلول واحد.

الإضمار اصطلاحاً: هو (إسقاط الشيء لفظاً لا معنى)³ قال الكفوي: (الإضمار: ما ترك ذكره من اللفظ، وهو مراد بالنية)⁴. ويطلق الإضمار على الضمير، وسمي الضمير بذلك لكثرة استتاره؛ لأن بالضمير يستتر الاسم الصريح، وبهذا يتوافق التعريف اللغوي مع التعريف الاصطلاحي في معنى الإخفاء والستر.

3. الأغراض البلاغية لوضع الظاهر موضع المضمّر في القرآن الكريم

الإظهار في موضع الإضمار من أساليب البيان العربي التي يخرج فيها الكلام على خلاف مقتضى الظاهر كما أنّ (الاسم الظاهر أنفذ في السمع، وأجلب للتنبيه) على حد قول الطاهر بن عاشور.

استخدمه القرآن الكريم، وتجلّى في كثير من السور والآيات لتحقيق أغراض بلاغية، ذكرها علماء البلاغة والتفسير، تمثلت فيما يأتي:

1.3 قصد التعظيم والتفخيم:

يتمثل هذا الغرض في بعض الآيات القرآنية التي احتوت على أسماء ذات منزلة عظيمة؛ كأسماء الله الحسنى، وأسماء رسله وأنبيائه، وملائكته. قال السمين الحلبي: (القرآن ملآن من هذا النوع — يقصد التعظيم والتفخيم — وهو من أحسن ما يكون؛ لأن فيه تعظيماً وتفخيماً)⁵.

ومنه قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ إِذْنٌ فَلِأَذْنٍ خَيْرٌ لَّكُمْ يَوْمَ يَأْتِيكُمُ الْمُنْذِرُ لِيَأْذَنَ بِكُمْ وَالَّذِينَ لَا يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾⁶.

¹ انظر: معجم مقاييس اللغة ج3 ص: 371 ، والقاموس المحيط للفيروز أبادي مجد الدين محمد بن يعقوب (ت 816 هـ) المؤسسة العربية للطباعة والنشر لبنان بيروت . ص: 551 .

² الحج، الآية: 27 .

³ عبد الله بن حمد الخثران مصطلحات النحو الكوفي، دراستها وتحديد مدلولاتها، دار هجر للطباعة والنشر، ط1، 1411 هـ _ 1990 . ص: 29 .

⁴ أبو البقاء الكفوي ، الكليات ص: 384 .

⁵ السمين الحلبي ، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن يوسف . في علوم الكتاب المكنون ، تح ، أحمد محمد الخراط ، دار القلم دمشق. د ط، ج 6، ص: 53 .

⁶ التوبة ، الآية : 61 .

عدل الخطاب القرآني في هذه الآية الكريمة عن الإضمار إلى الإظهار في ذكر(النبي) في بدء الآية، ثم ذكر (الرسول) في نهايتها. والغرض من هذا الإظهار تعظيم شأن الرسول صلى الله عليه وسلم وتفخيم له في أنه جمع بين النبوة والرسالة ، ونال الشرف والمنزلة العالية . يقول أبو حيان (وأبرز اسم الرسول ولم يأت به ضميراً على نسق يؤمن بلفظ الرسول تعظيماً لشأنه ، والجمع له في الآية بين الرتبتين العظيمتين من النبوة والرسالة ، وإضافته اليه زيادة في تشريفه ¹ . قال الزركشي: (عدل إلى استعمال عبارة (يؤذون النبي) ولم يقل (يؤذونه) لدلالة التعظيم) ² .

ومنه قوله تعالى: ﴿أَفِمِ الصَّلَاةِ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنِ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ ³ .

فإذا لاحظنا هذه الآية الكريمة، فإننا نجد إعادة قرآن الفجر في قوله: ﴿إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ﴾ ولم يقل: (إنه)؛ أي وضع الظاهر موضع المضمرة للدلالة على التعظيم والتفخيم لذلك الاسم، وفي هذا الشأن يقول أبو حيان : (وأعاد قُرْآنَ الْفَجْرِ في قوله: ﴿إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ﴾ ولم يأت مضمراً فيكون (إنه) على سبيل التعظيم والتنويه بقرآن الفجر) ⁴ وعدها الزركشي من التعظيم أيضاً ⁵ .

ومنه قوله تعالى: ﴿التَّائِبُونَ الْعَبَدُونَ الْحَمْدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ⁶ .

مقتضى الظاهر أن يكون التعبير في قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (بشرهم) ، ولكنه استعمل الاسم الظاهر مكان الضمير للاعتناء بهم وتكريمهم. قال البيضاوي: (إذ عدل الخطاب القرآني إلى إظهار لفظة (المؤمنين) بدل من الضمير، وذلك للاعتناء بهم، وتكريمهم) ⁷ .

ومنه قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيَعْلَمَكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ ⁸ .

¹ ينظر أبو حيان محمد بن يوسف بن علي الأندلسي ، البحر المحيط في التفسير ، تح صدقي محمد جميل ، دار إحياء التراث العربي ، لبنان بيروت ،

د ط . ج 5 ص : 79 ، 80 . وينظر تفسير التحرير والتنوير ، الطاهر بن عاشور ج 10 ص : 241 .

² الزركشي بدر الدين محمد بن عبد الله (794) ، البرهان في علوم القرآن ، حققه يوسف المرعشلي وزميله ، نشر، دار المعرفة ، لبنان بيروت ، ط 1 1410 هـ _ 1990 م . ج 3 ص : 473 .

³ الإسراء ، الآية : 78 .

⁴ تفسير البحر المحيط ج 6 ص : 87 .

⁵ ينظر البرهان في علوم القرآن ، ج 3 ص : 486 .

⁶ التوبة ، الآية : 113 .

⁷ البيضاوي ناصر الدين أبو الخير (عبد الله بن عمر ت 685 هـ)، أنوار التنزيل، وأسرار التأويل، مؤسسة شعبان ، للنشر والتوزيع لبنان بيروت . ج 3 ص : 99 .

⁸ البقرة ، الآية : 281

نلاحظ في هذه الآية تكرير لفظ الجلالة ثلاث مرات، وكان مقتضى الظاهر أن يأتي في المرة الثانية والثالثة بالضمير، ولكنه أقام الظاهر مقام المضمّر للتعظيم والتفخيم، يقول البيضاوي: (كرر لفظة الله) في الجمل الثلاث؛ فلان الأولى حث على التقوى، والثانية وعد بإنعامه، والثالثة تعظيم لشأنه¹.

وذكر الزركشي² مجموعة من الآيات القرآنية قصد بها التعظيم. نذكر منها:

قوله تعالى: ﴿وَلِيَكْ حِزْبَ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾³.

وقوله تعالى: ﴿لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا﴾⁴ أعاد كلمة (ربي) وأظهرها في موضع الإضمار قصد التعظيم.

وقوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾⁵. أعاد كلمة (الروح)

وأظهرها في موضع الإضمار لعظم أمر الروح.

3. 2. قصد الإهانة و التحقير والتفجير:

منه قوله تعالى: ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَكِ الْظَّالِمُونَ أَلْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾⁶.

مقتضى الظاهر أن يؤتى بالضمير فيقال: (لكنهم) لكنه عدل عنه إلى الظاهر لتحقيق غرض التحقير والإهانة.

قال الزمخشري: (فالخطاب القرآني عدل إلى الإظهار في لفظة (الظالمين) بدلا من الإضمار لدلاله التحقير. فأوقع "

الظاهر أعني: الظالمين موقع الضمير إشعارا بأن لا ظلم أشد من ظلمهم، حيث أغفلوا الاستماع، والنظر حين يجدي عليهم ويسعدهم)⁷.

ومنه قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا فِيلَ لَكُمْ إِنهَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّا قُلْتُمْ: إِلَى الْأَرْضِ

أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَّعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾⁸. أعاد الخطاب القرآني كلمة

(الدنيا) في الآية الكريمة، ووضعها موضع الضمير بغرض بيان حقارة الدنيا مقارنة بالآخرة.

¹ البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل ج 1، ص: 581.

² ينظر البرهان في علوم القرآن، ج 2 ص: 475 - 476.

³ المجادلة، الآية: 21.

⁴ الكهف، الآية: 37.

⁵ الإسراء، الآية: 85.

⁶ مريم، الآية: 37.

⁷ الزمخشري محمود بن عمر (ت 538 هـ) الكشاف عن حقائق التنزيل وعبوب الأفاويل في وجوه التأويل، تح، عبد الرزاق المهدي، نشر دار إحياء التراث

العربي، لبنان، بيروت.

⁸ التوبة الآية: 38.

ومنه قوله تعالى: ﴿إِسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ بِأَنبِيَائِهِمْ ذَكَرَ اللَّهُ أَذْلَٰبَكَ حِزْبَ الشَّيْطَانِ ۚ لَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾¹. تكررت لفظة الشيطان الرحيم في هذه الآية ثلاث مرات، وكان مقتضى الظاهر أن يضع الضمير موضع لفظة الشيطان في المرة الثانية والثالثة، ولكنه جاء السياق على خلاف المقتضى لتحقيق غرض الإهانة والتحقير للشيطان.

ومنه قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطَوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطَوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَمُرُّ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾² أصل الكلام: (ومن يتبع خطواته)، لكن أعاد ذكر الاسم ثانية، تحقيراً لشأن الشيطان، وتنبهياً على خطر اتباعه.

وقوله تعالى ﴿بَقَعْتُلُوْا أَوْلِيَآءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾³ لم يقل: (كيد) وقال: (كيد الشيطان) بإظهار الاسم بدل الضمير لدلالة التحقير .

ونظيره قوله تعالى: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسِ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾⁴

وقوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ رُفِئَ لِمِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصَدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ﴾⁵ . أظهر كلمة فرعون بدل الإضرار للإهانة و التحقير .

3 _ 3 زيادة التقرير والتمكين والتقدير:

منه قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيفًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾⁶ .

الم تأمل في هذه الآية الكريمة يلاحظ إقامة الظاهر مقام المضمر في موضعين : الأول في قوله تعالى: ﴿ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ ﴾ . والثاني قوله تعالى: ﴿ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ﴾ والغرض البلاغي في ذلك: هو زيادة التمكن والتقرير في نفس المخاطب، وإشعاره بمكانة المنزل والمنزل، وهكذا جاء التعبير بالظاهر بدل الضمير⁷. قال ابن عاشور : (وتكرير " الكتاب " في الآية مرتين، واسم الجلالة الجلالة أيضا مرتين؛ لقصد الاهتمام بالاسمين، وذلك يجر إلى الاهتمام بالخير المتعلق بهما والمتعلقين به)⁸.

¹ المجادلة ، الآية : 19 .

² النور ، الآية : 21 .

³ النساء، الآية : 75 .

⁴ الإسراء ، الآية : 53 .

⁵ غافر ، الآية : 37 .

⁶ آل عمران ، الآية : 78 .

⁷ ينظر البرهان في علوم القرآن ، ج 3 ص: 65 . والانتقان في علوم القرآن ، للسيوطي جلال الدين عبد الرحمن أبي بكر ، (543 هـ) تح : مصطفى ديب البغا، نشر دار ابن كثير ، سوريا دمشق ، ط 1 ، 1407 . هـ _ 1987 . ج 2 ص: 865 .

⁸ التحرير والتنوير ج 3 ص: 292 .

ومنه قوله تعالى: ﴿فُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۚ اللَّهُ الصَّمَدُ﴾¹.

مقتضى الظاهر أن يكون التعبير: (هو الصمد)، ولكنه استعمل الاسم الظاهر بدل الضمير لتوكيد وتمكين إسناد الصفات في السورة إلى الله عز وجل². وقال محمد بن محمد أبو موسى: (وَأَثَرُ الْمَظْهَرِ عَلَى الضَّمِيرِ؛ لَأَنَّ لَلْفِظِ الْجَلَالَهَ بِمَدْلُولِهِ الْكَرِيمِ وَقَعَا عَظِيمًا فِي الْقُلُوبِ وَالْمَرَادُ تَمْكِينُ الْأُلُوهِيَّةِ)³.

3. 4. إزالة اللبس حيث يوهم الضمير أنه غير الأول:

إزالة الالتباس والغموض من الأغراض البلاغية المستفادة من وضع الظاهر موضع المضمير حيث يوهم أنه غير الأول ، قال أبو الحسن الوراق: (إذا خيف الالتباس وجب أن يحول الكلام إلى ما لبس فيه التباس)⁴.

منه قوله تعالى: ﴿فُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تَوْتِي الْمَلِكِ مَسْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمَلِكِ مِمَّسْ تَشَاءُ﴾⁵.

نلاحظ في هذه الآية الكريمة إظهار كلمة الملك في قوله: (تؤتي الملك) بدل الضمير لإزالة اللبس والغموض لأنه لو قال: (تؤتيه) لعاد الضمير إلى الملك في قوله الملك ، ولأوهم ذلك أن الله تعالى يعطي ملكه كله من يشاء، وهذا غير مراد، بل المراد أن الله يعطي شيئاً من ملكه لبعض عباده)⁶.

ومنه قوله تعالى: ﴿بَبَدَأَ بِأَوْعِيَّتِهِمْ فَبَلَّ وَعَاءٍ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وَعَاءٍ أَخِيهِ﴾⁷.

نلاحظ في هذه الآية الكريمة إظهار كلمة الوعاء خلافاً لمقتضى الظاهر لإزالة اللبس والغموض، ونفي التوهم، وفي هذا الشأن يقول الزركشي: (وإنما حسن إظهار الوعاء مع أن الأصل فاستخرجها منه لتقدم ذكره لأنه لو قيل ذلك لأوهم عود الضمير على الأخ فيصير كأن الأخ مباشر لطلب خروج الوعاء، وليس كذلك لما في المباشر من الأذى الذي تأباه النفوس الأبية، فأعيد لفظ الظاهر لنفي هذا)⁸.

¹ الإخلاص ، الآية 1 ، 2.

² ينظر مشكل إعراب القرآن الكريم لمكي بن أبي طالب (ت 437)، تح ، حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة ، ط2، 1404 هـ - 1984 م . ج 2 ص: 852 . وفيض الفتاح على نور الأفاح للشنقيطي عبد الله بن الحاج العلوي (ت 1233) إشراف محمد الأمين بن محمديب ط2 ، 1420 هـ-1999 م . ج 1 ص: 138 .

³ أبو موسى محمد بن محمد، خصائص التراكيب: دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني ، مكتبة وهبة ، مصر ، ط2، 1400 هـ-1980 م . ص: 213.

⁴ ينظر علل النحو لأبي الحسن محمد بن عبد الله الوراق (ت 325هـ)، تح ، محمود جاسم الدرويش ، مكتبة الرشد ، الرياض ، ط1 ، 1420 هـ - 1980 م ، ص: 294 .

⁵ آل عمران ، الآية : 26 .

⁶ ينظر البرهان في علوم القرآن، ج3 ص: 65 و الإتقان في علوم القرآن، ج 2 ص : 865.

⁷ يوسف، الآية : 76 .

⁸ البرهان في علوم القرآن، ج2 ص 488 .

ومنه قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَدِّلُ عَن نَّفْسِهَا﴾¹ فلم يقل: "عنها" لئلا يتحد الضميران فاعلا ومفعولا. ووضع الظاهر موضع الضمير لإزالة اللبس و الغموض.

ومنه قوله تعالى: ﴿وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ قَالُوا مَا أَغْنَىٰ عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ﴾². حيث وضع الظاهر (أصحاب الأعراف) موضع المضمر؛ لإزالة الالتباس، قال ابن عاشور: "والتعبير عنهم هنا بأصحاب الأعراف إظهار في مقام الإضمار، إذ كان مقتضى الظاهر أن يقال: ونادوا رجالا إلا أنه لما تعدد في الآية السابقة ما يصلح لعود الضمائر إليه، وقع الإظهار في مقام الإضمار دفعا للالتباس"³.

3. 5 قصد تربية المهابة وإدخال الروعة في ضمير السامع بذكر الاسم المقتضي:

منه قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُحَقِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ الْعَذَابِ﴾⁴. المتأمل في نظم هذه الآية الكريمة؛ يجد استعمال الظاهر، وهو قوله تعالى: ﴿لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ﴾ موضع الضمير، ولم يقل (خزنتها) - الذي هو مقتضى الظاهر - لما في ذكر جهنم من التهويل كما ورد في تفسير الكشاف، وتفسير البحر المحيط⁵. أما الزركشي فقد ذكر أن الغرض البلاغي من إظهار كلمة (جهنم) هو (تربية المهابة وإدخال الروعة)⁶.
ومنه قوله تعالى: ﴿...﴾⁷.

نجد في هذه الآية إظهار لفظ الجلالة (الله) في قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ بدل الإضمار، ولم يقل (وهو بما تعملون خبير) لتربية المهابة، وإدخال الروعة في ضمير السامع، قال ابن عاشور: (وفي ذكر اسم الجلالة اظهار في مقام الإضمار، لتكون الجملة مستقلة جارية مجرى المثل والكلم الجوامع؛ ولأن الاسم الظاهر أقوى دلالة من الضمير لاستغنائه عن تطلب المعاد، وفيه من تربية المهابة ما في قول الخليفة (أمير المؤمنين يأمرهم بكذا)⁸.
ومنه قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَعْرِضْ عَنْ هَذَا إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ مَرْدُودٍ﴾⁹. أظهر الخطاب القرآني كلمة (ربك) في قوله تعالى: ﴿أَمْرُ رَبِّكَ﴾ ووضعها موضع الإضمار، ولم يقل: (أمره) لإدخال الروعة في ضمير

¹ النحل، الآية: 111.

² الأعراف، الآية: 47.

³ التحرير والتنوير، ج 8 ص: 144.

⁴ غافر، الآية: 49.

⁵ ينظر تفسير الكشاف ص: 959. وتفسير البحر المحيط ج 7 ص: 622.

⁶ ينظر البرهان في علوم القرآن، ج 2 ص 490.

⁷ التغابن، الآية: 8.

⁸ التحرير والتنوير ج 30 ص: 268.

⁹ هود، الآية: 76.

السامع، قال ابن عاشور: (وجملة يا إبراهيم أعرض عن هذا مقول محذوف دل عليه المقال وهو من بديع الایجاز، وهو وحي من الله إلى إبراهيم عليه السلام فإذا كان من كلام الله فقله (أمر ربك) إظهار في مقام الإضمار؛ لإدخال الروع في ضمير السامع)¹. السامع¹.

3. 6. التهويل:

ومنه قوله تعالى: ﴿الْحَافَّةُ مَا أُحَافَةُ﴾².

نجد في هذا الخطاب القرآني عدولا عن المضمر إلى الظاهر لسر بلاغي، وهو التهويل، قال الزمخشري: (ما الحاقة والأصل الحاقة ماهي؟ أي شيء هي، تفحيما لشأنها وتعظيما لهولها، فوضع الظاهر موضع المضمر؛ لأنه أهول لها)³. ومنه قوله تعالى: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾⁴.

أظهر الخطاب القرآني كلمة (الأرض) ووضعها موضع المضمر لغرض التهويل، قال ابن عاشور: (فإعادة (الأرض) في قوله: ﴿وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾ إظهار في مقام الإضمار لقصد التهويل)⁵.

3. 7. قصد تقوية داعية المأمور:

منه قوله عز وجل: ﴿بِإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾⁶.

أظهر لفظ الجلالة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ وأقامه مقام الإضمار ولم يقل: (إنه يحب المتوكلين)، أو (إني أحب المتوكلين)؛ تقوية لداعية المأمور بـ (التوكل) بالتصريح باسم المتوكل عليه.

3. 8. تعظيم الأمر:

و منه قوله تعالى: ﴿هَلْ آتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئاً مَّذْكُوراً إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُّطْفَةٍ آمَشَاجٍ تَبَتَّلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعاً بَصِيراً﴾⁷.

أعاد كلمة (الإنسان) في قوله تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ﴾ بوضع المظهر موضع المضمر، ولم يقل: (خلقناه)؛ (للتنبية على عظم خلقه للإنسان؛ لأن الله خلقه بعد أن كان معدوماً فأوجد نطفة كانت معدومة ثم استخرج منها إنساناً، فثبت تعلق الخلق بالإنسان بعد عدمه)¹.

¹ التحرير والتنوير ج 12 ص: 124.

² الحاقة، الآية: 1.

³ تفسير الكشاف ج 4، ص 1144.

⁴ الزلزلة، الآية: 1، 2.

⁵ ينظر تفسير التحرير والتنوير ج 30، ص: 491.

⁶ آل عمران، الآية: 159.

⁷ الإنسان، الآية: 1.

ومنه قوله تعالى: ﴿إِلْفَارِعَةً مَا أَلْفَارِعَةً﴾². وضع الظاهر موضع الضمير؛ تعظيماً لأمرها، وتفخيماً لشأنها.

ونظيره قوله عز وجل: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ بَسَفُوا فَمَا يُوِيهِمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَفِيلَ لَهُمْ دُوقُوا عَذَابَ الْبَارِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾³.

وضع الظاهر الذي هو كلمة النار في قوله تعالى: ﴿عَذَابَ الْبَارِ﴾ موضع الضمير لم يقل: (ذوقوا عذابها)، بل أعاد الاسم ثانية؛ للتخويف والتنبيه على عظم الأمر، والمبالغة في شأن النار.

3. 9 الاستلذاذ بذكر الظاهر:

منه قوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يَرْيِدُ الْغَزَّةَ فَلِلَّهِ الْغَزَّةُ جَمِيعاً﴾⁴.

أقام الظاهر الذي هو كلمة (الغزة) في قوله تعالى: ﴿لِلَّهِ الْغَزَّةُ﴾ مقام الضمير للاستلذاذ بذكرها، قال الزركشي: (يخبرنا الله عز وجلّ وعلا بأن من أراد الغزّة والشرف فعليه أن يطلب من الله تعالى ، وذلك بأخذ أسبابها ووسائلها ومن تلك الوسائل العلم بالحق والتزامه والثبات عليه فهذا هو أساس الغزّة ومنبعها . فلفظ الغزّة لفظ شريف ، يتلذذ المرء بذكرها وتكرارها ولهذا أقم الظاهر مقام الضمير حيث عبر بالظاهر في قوله (فلله الغزّة) ومقتضى الظاهر أن يقال : فإنها لله أو فله هي جميعا ، والسر وراء هذا الخروج عن الأصل هو التلذذ بذكر المظهر ، للاسترواح بتلك الكلمة ، واسعاد النفس بجريانها على اللسان)⁵.

ومنه قوله تعالى: ﴿وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَّلَ﴾⁶. نلاحظ في هذه الآية الكريمة وضع الظاهر وهو كلمة (الحق)

في قوله تعالى: ﴿وَبِالْحَقِّ نَزَّلَ﴾ موضع الضمير ؛ لأن المقتضى أن يقال: (وبه نزل) لكون اللفظ الذي يرجع إليه الضمير قد سبق، ولكن عدل عن ذلك لغرض بلاغي كان هو سبب العدول، وهو التلذذ بلفظ الحق، لما لها من الدلالات والإثارة النفسية، ولا يمكن للضمير أن يؤدي المعنى الذي يؤديه الظاهر بأي حال من الأحوال. قال الشيخ محمد الراوي (ولم أر كلمة أخذت معنى الثبات، وفازت بالأصالة والبقاء ، وكان لها النصر في العاجلة والعاقبة مثل كلمة الحق)⁷.

ومنه قوله تعالى: ﴿لَقَدْ جِئْتَكُمْ بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ﴾⁸. لم يقل: (له) (كارهون عدل عن الإضمار إلى إظهار كلمة الحق للتلذذ بها).

¹ ينظر البرهان في علوم القرآن ج2، ص: 275 . وينظر الاتقان في علوم القرآن ص 502

² القارعة، الآية: 1 .

³ السجدة، الآية: 20 .

⁴ فاطر ، الآية: 10 .

⁵ ينظر البرهان في علوم القرآن ، ج 3 ، ص: 64 .

⁶ الإسراء ، الآية: 105 .

⁷ الشيخ محمد الراوي ، كلمة الحق في القرآن الكريم ج1 ص: 15 .

⁸ الزخرف، الآية: 78 .

3. 10. قصد التوصل بالظاهر إلى الوصف:

ومن هذا قوله تعالى: ﴿فَقَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُومِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَتِهِ﴾¹.

وضع في هذا الخطاب القرآني الظاهر وهو قوله تعالى: ﴿فَقَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ موضع الضمير وهو: (فآمنوا بالله (وي) قصد التوصل بالظاهر إلى الصفات التي ذكرها للنبي صلى الله عليه وسلم وهي قوله: ﴿النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُومِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَتِهِ﴾ وهذه الأوصاف تتضمن حجة وبرهانا على رسالته ، ولو أتى بالضمير لم يمكن ذكر تلك الأوصاف؛ لأن الضمير لا يوصف، ولا يوصف به؛ لأن المضمّر لا دلالة فيه على الصفة؛ ولأن وضع المضمّر مخالف لوضع الظاهر².

3.11. قصد التعميم:

ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَا أَتَّبِعْتُ نَفْسِي إِنْ أَنفُسُ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾³.

لقد جاءت كلمة نفس في هذه الآية في المرة الأولى مفردة مضافة إلى ضمير المتكلم وقبلها جملة ﴿وَمَا أَتَّبِعْتُ﴾ لتفيد في هذا التركيب نفي البراءة عن السوء، والمراد بها هنا نفس يوسف عليه السلام أو امرأة العزيز على اختلاف بين المفسرين ، ورجح شيخ الإسلام ابن تيمية ، والحافظ ابن كثير أن امرأة العزيز هي المقصودة ، وأن ذلك هو الأشهر، والأليق والأنسب بسياق القصة، ومعاني الكلام⁴ . والنفس الأخرى في الآية التي دخلت عليها "ال" المفيدة لاستغراق الجنس يراد بها النفس العاصية التي تأمر بالسوء ، فذكر الاسم الظاهر (النفس) بدل الضمير (إنها) لغرض بلاغي وهو إفادة التعميم لكل نفس من النفوس إلا ما استثناه القرآن بقوله : ﴿إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾⁵ . كما عدل الخطاب القرآني عن الإضمار بقوله: (إنه غفور رحيم) رحيم) إلى الإظهار في قوله: ﴿إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ عند تعرضه لعنوان الربوبية تربية للناس على مبادئ المغفرة والرحمة، فذكر لفظة (ربي) إشارة واضحة على معنى التربية التي هي من صفات الرب المربي للخلق أجمعين، ولا نرى ظهور هذا المعنى مع الإضمار، فهي مزية مهمة يأتي بها العدول القرآني في هذا الموضع من الآية. فإنه لو قيل: (إنها لأماراة) لأقتضى تخصيص ذلك فأتى

¹الأعراف، الآية: 158 .

²أبو الربيع الإشبيلي (ت، 688 هـ) أبو الحسن عبيد الله ، الملخص في ضبط القوانين العربية ن تحقيق، علي بن سلطان الحكمي ط1 ، 1405 هـ _ 1985 ص: 558 .

³يوسف، الآية: 53 .

⁴ينظر ابن تيمية (ت، 728 هـ) ، مجموع الفتاوى جمع وترتيب ، عبد الرحمن بن محمد قاسم وابنه محمد طبعة الرئاسة العامة لشؤون الحرمين الشريفين. ج15 ص : 150 ، 151 . وتفسير القرآن العظيم ابن كثير الحافظ أبو الفداء إسماعيل الدمشقي (ت، 774 هـ) تحقيق : سامي بن محمد السلامة دار طيبة ، الرياض ط2، 1420 هـ _ 1999 م ، ج4 ص : 394 ، 395 .

⁵ينظر البرهان في علوم القرآن ، ج3 ص : 70 ، والإتقان في علوم القرآن ، ج3 ص : 867 .

بالظاهر ليدل على المراد وهو التعميم مع أنه برئ من ذلك بقوله بعده: ﴿الَّا مَا رَحِمَ رَبِّي﴾ وقوله: ﴿إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾¹.

وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾². قال ابن عاشور (نفس) إظهار في مقام الإضمار ؛ لأن مقتضى الظاهر : وانظروا ما قدمتم ، فعدل عن الإظهار لقصد العموم ، أي لتنظروا وتنظر كل نفس)³.

12.3 قصد الخصوص:

منه قوله تعالى: ﴿وَأَمْرًا مُّؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾⁴.

لم يقل الخطاب القرآني: (إن وهبت نفسها لك) كما هو مقتضى الظاهر، ولكن وضع الاسم الظاهر وهو (النبي) موضع الضمير للدلالة على الخصوصية؛ لأنه لو أتى بالضمير لأخذ جوازه لغيره، بل هو تصريح بأنه خاص به وحده، أي: المرأة الواهبة نفسها للنبي بغير مهر، إن رغب النبي في الزواج بها، والزواج بلفظ الهبة خصوصية لنبي دون المؤمنين⁵ قال الزركشي: (فعدل عنه إلى الظاهر للتنبيه على الخصوصية، وأنه ليس لغيره ذلك)⁶.

13. 3 الإشعار بعلة الحكم:

وهو أن يأتي الحكم تعليلاً لمعنى سابق في الآية كقوله تعالى: ﴿قَبَدَلِ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾⁷.

مقتضى الظاهر (فأُنزلنا عليهم) وجاء النص بالإظهار ﴿فَأَنزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ للتنبيه على أن الحكم عليهم بإنزال العذاب، كان بسبب ظلمهم الذي ظهرت آثاره بأعمال الفسق الذي كانوا يفسقونه⁸ وقال ابن عاشور: إن الغرض من

¹ ينظر البرهان ج 3 ص : 70 ، والإتقان ج 2 ص: 867 .

² الحشر، الآية: 18 .

³ التحرير والتنوير ، ج 28 ص : 111

⁴ الأحزاب ، الآية: 50 .

⁵ ينظر البرهان في علوم القرآن ج 2 ، ص : 495 ونظر التفسير الوسيط ، وهبة بن مصطفى الزحيلي ، ط 1 ، 1422 هـ دار الفكر دمشق . ج 3 ، ص : 2080 .

⁶ البرهان ج 3 ص : 71 . والأشباه والنظائر ، ج 4 ، ص : 131 .

⁷ البقرة ، الآية : 58 .

⁸ ينظر الدر المصون ج 1 ص : 381 والبرهان في علوم القرآن ج 1 ص : 68 ، 69 . والإتقان في علوم القرآن، ج 2 ص : 866 .

وضع المظهر مكان المضمّر لزيادة التقييح، والمبالغة والتفريع¹، وقال محمد ابن محمد أبو موسى : (فقد استحقوا العذاب النازل عليهم، وهو أيضا زيادة في كونهم ظالمين)².

و منه قوله: ﴿وَالَّذِينَ يَمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نَضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ﴾³. ولم يقل: (أجرهم) تنبيها على أن صلاحهم علة لنجاتهم.

ونظيره قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾⁴ الأصل: (فلعنة الله عليهم)، لكن أظهر الاسم؛ للدلالة على أن اللعنة لحقتهم لكفرهم.

3. 14 استقلال الجملة:

والمقصود باستقلال الجملة أن تكون كاملة، بحيث لو اقتطعت من السياق الذي هي فيه يظل المعنى فيها على تمامه وكماله، ويحسن استخدامها في مواطن خارج السياق.

ومنه قوله تعالى: ﴿يُوتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾⁵.

نلاحظ من خلال هذه الآية إعادة كلمة (الحكمة) ظاهرا، وكان مقتضى الظاهر أن يقال: (ومن يؤتها) بالإضمار، لكن وضع الظاهر موضع المضمّر إشارة إلى استقلال الجملة، قال السيوطي: (وذكر الحكمة ثانيا بلفظ الظاهر لكونها في جملة أخرى)⁶. ومنه قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ تُحِبُّوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْذَرُوهُ يُعَلِّمَهُ اللَّهُ وَيَعْلَمَ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾⁷.

نجد في هذه الآية الكريمة إظهار لفظ الجلالة ولو جاء على مقتضى الظاهر لقال: (وهو على كل شيء قدير) لكن وضع الظاهر موضع المضمّر إشارة إلى استقلال الجملة، قال ابن عاشور: (أظهر اسم الله دون ضميره فلم يقل: (وهو على كل شيء قدير)؛ لتكون الجملة مستقلة، فتجري مجرى المثل⁸.

ومنه قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيَعْلَمْكُمْ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾¹.

¹ تفسير التحرير والتنوير ج 1 ص : 517 .

² خصائص التراكيب، ص : 191 .

³ الأعراف، الآية: 170 .

⁴ البقرة، الآية : 88 .

⁵ البقرة، الآية : 268 .

⁶ السيوطي جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت 911هـ)، كطف الأزهار في كشف الأسرار، تحقيق، أحمد الحمادي ، منشورات وزارة الأوقاف ، والشؤون الإسلامية قطر ، ط 1، 1414هـ-1994، ج 1 ص : 522 .

⁷ آل عمران ، الآية: 29 .

⁸ التحرير والتنوير ج 3 ص : 222 .

ومنه قوله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَاءُ كَمَا أَنْشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَّةٍ قَوْمٍ - أَحْرَبِينَ﴾². قال ابن عاشور: (وربك) إظهار في مقام الإضمار ومقتضى الظاهر أن يقال: وهو الغني ذو الرحمة، فخولف مقتضى الظاهر لما في اسم الرب من دلالة على العناية بصلاح المربوب، ولتكون الجملة مستقلة بنفسها فتسير مسرى الأمثال والحكم، وللتنويه بشأن النبي عليه السلام)³.

3. 15. مراعاة المحسنات البديعية كالجناس:

منه قوله تعالى: ﴿فَلْأَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ مَلِكِ النَّاسِ إِلَهِ النَّاسِ﴾⁴.

أظهر الخطاب القرآني كلمة (الناس) في الآيات السابقة، ولكنه عدل عن الإضمار ولم يقل: (ملكهم، إلههم) إلى الإظهار مراعاة للجناس والفواصل.

قال الشوكاني: (وكرر لفظ الناس في الثلاثة المواضع؛ لأن عطف البيان يحتاج إلى مزية الإظهار، ولأن التكرار يقتضي مزيد شرف الناس)⁵.

4. خاتمة

ظاهرة وضع الظاهر موضع المضمّر من موضوعات الخروج على خلاف مقتضى الظاهر ملحوظة بكثرة في القرآن الكريم، اهتم بها علماء البلاغة والتفسير لما لها من فوائد ولطائف عجيبة، وأغراض بلاغية عديدة، وأسرار جمالية أسلوبية فريدة، هي إذن بعض اللمسات البيانية، ودلائل الإعجاز اللغوي، تفني بالمقصود وتحدد الدلالة المستلزمة مقامياً بدقة، وهذا ما استنتجته بحث هذا المقال، وكشف عنه، وتوصل إليه مع الإشارة إلى أن استنباط هذه الأغراض البلاغية يقتصر على الفطنة و الذكاء، و على مدى فهم الخطاب، وقد يكون في الآية الواحدة أكثر من غرض، فهو أمر اجتهدادي، لذلك يقع الاختلاف في نوع الغرض، وقد تستخرج أسباب وأغراض أخرى إلى جانب التي ذكرنا.

5. قائمة المراجع:

القرآن الكريم برواية ورش

- 1- أبو البقاء أيوب بن موسى الكفوي (ت 1094 هـ)، الكليات، معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تح عدنان درويش محمد المصري، لبنان، بيروت مؤسسة الرسالة. د، ط.

¹ البقرة، الآية: 281.

² الأنعام، الآية: 134.

³ التحرير والتنوير ج 8، ص: 85.

⁴ الناس، الآية 1، 2، 3.

⁵ الشوكاني، محمد علي (ت 125هـ) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير نشر مطبعة مصطفى الحلبي وأولاده، مصر ط 2، 1383 هـ - 1964 م. ج 5 ص: 522.

- 2 - البيضاوي ناصر الدين أبو الخير عبد الله بن عمر (ت 68 هـ)، أنوار التنزيل، وأسرار التأويل، لبنان، بيروت مؤسسة شعبان، للنشر والتوزيع.
- 3 - ابن تيمية (ت 728 هـ)، مجموع الفتاوى جمع وترتيب، عبد الرحمن بن محمد قاسم وابنه محمد طبعة الرئاسة العامة لشؤون الحرمين الشريفين.
- 4 - خالد بن عثمان السبت، قواعد التفسير (جمعاً ودراسة)، دار ابن عثمان، د، ط.
- 5 - الزركشي بدر الدين محمد بن عبد الله (ت 794)، البرهان في علوم القرآن، حققه يوسف المرعشلي وزميله، نشر دار المعرفة، لبنان بيروت، ط 1 1410 هـ - 1990 م.
- 6 - الزمخشري محمود بن عمر (ت 538 هـ)، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيوب الأقاويل في وجوه التأويل، تح، عبد الرزاق المهدي، نشر دار إحياء التراث العربي، لبنان، بيروت.
- 7 - السمين الحلبي، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن يوسف. في علوم الكتاب المكنون، تحقيق، أحمد محمد الخراط، دمشق، دار القلم د ط.
- السيوطي جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت 911 هـ).
- 8 - الإتيقان في علوم القرآن، تح: مصطفى ديب البغا، نشر دار ابن كثير، سوريا دمشق، ط 1، 1407 هـ - 1987.
- 09- قطف الأزهار في كشف الأسرار، تحقيق أحمد الحمادي، قطر، منشورات وزارة الأوقاف، والشؤون الإسلامية، ط 1، 1414 هـ - 1994.
- 10- الشنقيطي عبد الله بن الحاج العلوي (ت 1233)، فيض الفتح على نور الأفاح، إشراف محمد الأمين بن محمد بيب ط 2، 1420 هـ - 1999.
- 11 - الشوكاني، محمد علي (ت 125 هـ) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، مصر نشر مطبعة مصطفى الحلبي وأولاده، ط 2، 1383 هـ - 1964 م.
- 12 - عبد الله بن حمد الخثران مصطلحات النحو الكوفي، دراستها وتحديد مدلولاتها، داره جر للطباعة والنشر، ط 1، 1411 هـ - 1990.
- 13- ابن فارس أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني، معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، د ط، 1979 م.
- 14 - ابن كثير الحافظ أبو الفداء إسماعيل الدمشقي (ت 774 هـ)، تفسير القرآن العظيم، تح: سامي بن محمد السلامة دار طيبة، الرياض ط 2، 1420 هـ - 1999 م.
- 15 - محمد الطاهر بن عاشور (ت 1393)، التحرير والتنوير الدار التونسية للنشر.
- 16- مكّي بن أبي طالب (ت 437)، مشكل إعراب القرآن الكريم، تح، حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة، ط 2، 1404 هـ - 1984.
- 17 - مهدي المخزومي، مدرسة الكوفة ومنهجها في اللغة والنحو، لبنان، بيروت، دار الرائد العربي، ط 3، 1406 هـ - 1986.
- 18 - ابن الوراق (ت 325 هـ)، أبو الحسن محمد بن عبد الله، علل النحو، تحقيق، محمود جاسم الدرويش، مكتبة الرشد، الرياض، ط 1، 1420 هـ - 1980 م.
- 19 - وهبة بن مصطفى الزحيلي، التفسير الوسيط، دمشق، دار الفكر ط 1، 1422 هـ .

